

في نور محمد فاطمة الزهراء

وذلك أيضا أليق بخُلُق أبيها الكريم، إذ هو سماحة ورحمة. لكنَّ الحرج كان يشدُّ الرسول إلى الوراء، فألسنة الناس مولعة أبداً بالخوض في سير الناس، وبتسفُّط الهذات، وبتقصي العورات... بالباطل تخوض، وبالحق تخوض. أفتدَّين فرِّق بين الزوجين، مرَّ الأمر بغير غضاضة [1042] يستشعرها القوم، وبلا حروف كلمة جائرة تتجمَّع فتُقال هنا، أو دهشة صيرى [1043] تنعقد فتظهر هناك؟ لا! بل لقد تقولنَّ طائفة منهم: ما بال محمد يهدم بيتاً هو الذي وضع أساسه، وأحكم بنيانه، وعلَّى ذراه؟! أو تقولنَّ أُخرى: كيف يخذل «ولده» الذي تبنَّاه؟! أو تقولنَّ ثالثة: لأمر ما نصر في زينب عاطفتها الحرون! أو تقولنَّ سواهنَّ غير هذه وتلك من مدَّعيات! ومن وراء هذا كلاءه فريق المنافقين، هم أحرىء بأن يشعلوها فتنةً مدمِّرةً، لا تصيبنَّ الذين ظلموا خاصةً، ويخشى الرسول أن تحيق بالأُلى إسلامهم على حرف، لمَّا يترسَّخ بعد في قراراتهم جوهر الإيمان. تماماً كما حدث يوم الإسراء من بضع سنين. فلقد استرايت عندئذ في حقيقة تلك الرحلة الربانية المعجزة كثرة كاثرة من الناس، وأصمت خبرها جماعة تجمَّدت فيهم ملكات التفكير، فلا هم إلى النفي ولا هم إلى التصديق، كمن تثخنهم الجراح فتثبتهم على مواقع الأقدام! وطنَّت فئة بالنبي الطنون. وفي عجب ضالَّ، وعنجهية جاهلية، قال قائلون: هذا وإِ الأمر البيِّن! وإِ إنَّ البعير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مدبرة، وشهراً مقبلة، أفيزهد محمد ذلك في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة!